فَمَاظَنُكُمْ بِرَب الْعَالَمِينَ

بسم الله الرحمن الرحيم

لحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا رسول الله، أما بعد:

من قصص القرآن التي فيها تقرير حق الله تعالى، وبيان ما له جل وعلا على عباده من الحقوق تلك القصة العظيمة :قصة إمام الحنفاء، قصة إبراهيم عليه السلام، فقد ذكرها الله جل وعلا في مواضع عديدة من كتابه الحكيم، وهي قصةٌ تضمنت بيانًا وتوضيحًا، مجادلةً ومُحاجّة ومناقشة لقوم كفروا بالله جل وعلا، اتخذوا من دونه آلهة، عبدوا سواه سبحانه وبحمده، وقد تكرر ذكر هذه القصة على ألوان متعددة في كلام الله جل وعلا وفي كتابه الحكيم، من ذلك ما ذكره الله جل وعلا في سورة الصافات في خبر مُحاجة إبراهيم ودعوته لأبيه وقومه،

قال تعالى على لسان إبراهيم:**"وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ. إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ. إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ. أَئِفْكًا آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ. فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ"** (الصافات:٨٣-٨٧)

فهذا خليل الرحمن يقول لأبيه وقومه :أي شيء ظنكم برب العالمين؟ أشككتم فيه حتى تركتم عبادته وصرفتم العبادة لمن سواه؟! أو علمتم أي شيء هو حتى جعلتم له شريكاً من الأصنام والأوثان والكواكب وغيرها تعبدونه من دون الله تعالى؟

أي شيء ظننتم بهذا الرب الذي له الأولى والآخرة؟ له ما في السماوات وما في الأرض؟ له الحمد كله؟ كل شيء إليه صائر وعنه صادر جل وعلا، فهو سبحانه وبحمده الأول الذي ليس قبله شيء، وهو جل وعلا الآخر الذي ليس بعده شيء، وهو سبحانه وبحمده الظاهر الذي ليس فوقه شيء، وهو الباطن الذي ليس دونه شيء، كيف عبدتم غيره؟ ما ظنكم بهذا الرب الذي هذه صفاته؟ أظننتم أنه يترككم تعظمون غيره، وتصرفون العبادة لسواه ولا يعاقبكم على ذلك، وهو جل وعلا قد أمركم بعبادته، وفطركم على ألا تعبدوا سواه، بل أخذ الميثاق عليكم وأنتم في ظهور آبائكم ألا تعبدوا إلا إياه جل وعلا؟

ما ظنكم برب العالمين؟
سؤالٌ كبير، يا له من سؤالٍ يرجف منه الفؤاد ويجل منه القلب.

فما ظنكم برب العالمين؟
سؤالٌ يستوقف كل سامع لِيُشْهِدَهُ تقصيره في حق الرب العظيم الكريم الذي قال جل وعلا عن حقه وحال عباده مع هذا الحق:"وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ".

(لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ)

"فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ".
ما هي عقائد الطوائف والفرق في الله تعالى؟ ما ظننا في الله تعالى؟
الأشاعرة والماتريدية والمعتزلة فيهم بدعة تقديم العقل على النقل ،

والصوفية فيهم بدعة تقديم الذوق على الشرع ، وجماع بدعة الصوفية هو الاستهانة بنصوص الشريعة، لأن تعظيم الشريعة يكون بتعظيم نصوصها ، وتعظيم الشريعة من تعظيم الله تبارك وتعالى ، لذلك كان النبي صلى الله عليه وسلم معظما للقرآن ، وكان الصحابة من بعده معظمون للقرآن والسنة لا يقدمون رأيهم على القرآن والسنة ، قال تعالى: "يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله ". فأغلب بدعهم في العبادات والمعاملات وعندهم بعض البدع العقدية ، وقد يكون الشخص صوفيا وأشعريا في نفس الوقت فتجتمع فيه بدعتان...

والأشاعرة والماتريدية متقاربان في العقائد ، والمعتزلة أبعد من الأشاعرة عن السنة ،
ولكن بدعة الأشاعرة الغليظة في أبواب الأسماء والصفات ،
وبدع المعتزلة كثيرة ، فمنها قولهم في القضاء والقدر والأسماء والصفات والقول بخلق القرآن وغير ذلك ..

"فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ".
سؤال يبعث في القلب تعظيم الرب، كما أنه يبعث في القلب حسن الظن بالله الذي له الأمر كله جل وعلا، الذي لا يحسن العباد ولا يحصي العباد ثناءً عليه سبحانه وبحمده، هذا السؤال يبعث في القلب سن الظن بالله جل وعلا، يبعث في القلب رجاء كل خيرٍ من قِبَلِهِ.

= معنى حسن الظن بالله:

معناه هو أن يؤمل العبد من ربه كل بر، وكل إحسان، فهو رب كل نعمة، هو صاحب كل إحسان، هو صاحب كل سعة
١-قال تعالى:"وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ".
٢-قال القاضي عياض في معنى حسن الظن بالله :(أن يُؤمل العبد أنه إذا استغفر غفر الله له، وأنه إذا تاب قبل الله تعالى توبته، وأنه إذا دعا الله تعالى أجابه إلى دعائه، وأنه إذا استكفى الله تعالى وطلب منه الكفاية كفاه الله سبحانه وبحمده). بهذه الصفات يظهر حسن ظن العبد بربه.

انظر إلى غزوة الأحزاب في السنة الخامسة التي قال عنها الله تعالى:"إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا"
انقسم الناس خلالها إلى فريقين:
فريق المؤمنين:قال الله تعالى عنهم:"وَلَمَّا رَأى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَاناً وَتَسْلِيماً".

فريق المنافقين:قال الله عنهم:"وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلا غُرُوراً"، أي :إلا أماني لا يمكن إدراكها، لا يمكن تحصيلها، إنها أماني كاذبة، هكذا ظنوا بربهم وظنوا بخبر الله تعالى، فكان عاقبة أمرهم خُسراً.

= فضل حسن الظن بالله وعقوبة سوء الظن به:

إحسان الظن بالله تعالى من أوكد الفرائض، ومن أجلِّ الوجبات، وقد أمر الله تعالى عباده بأن يحسنوا الظن به سبحانه وبحمده، وذلك في مواضع عديدة، منها:

١-قال تعالى:"وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ". قال عكرمة مولى ابن عباس:(وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ حِبُّ الْمُحْسِنِينَ) أحسنوا الظن بالله تعالى.

٢-وقال تعالى:"وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً".

٣-وقال تعالى:"وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلاً ذَلِكَ ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا، فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّار".

٤-قال تعالى:"سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا. بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنْتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا" (الفتح:١١-١٢)

٥-روى مسلم عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيِّ [أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال قَبْلَ مَوْتِهِ بِثَلَاثَةِ أَيَّامٍ: ' يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ يُحْسِنُ الظَّنَّ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ].

٦-روى الترمذي وابن ماجه عن أنس بن مالك قال: [دخل النبي صلى الله عليه وسلم على شابٍّ وهو في الموت في حال الاحتضار، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لهذا الشاب :" كيف تجدُك؟ " يعني:ما هي حالك؟ ما الذي في قلبك في هذه الساعة؟ " فقال :والله يا رسول الله إني أرجو الله، وإني أخاف ذنوبي ". إني أرجو الله:أطمع فيما عنده وأحسن الظن به، وأخاف ذنوبي. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :" لا يجتمعان في قلب عبد في مثل هذا الموطن إلا أعطاه الله ما يرجو، وأمّنه مما يخاف]. ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

= كيف نزرع في قلوبنا حسن الظن بالله تعالى؟

أن نعرف ما له جل وعلا من الكمالات:

١-قال تعالى:(وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا) سبحانه وبحمده،

٢-قال تعالى:" لِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى".

اقرأ كتاب الله جل وعلا تجد أن كتاب الله تعالى مليءٌ بصفاته، مليءٌ بالأخبار عنه، مليءٌ بجميل أفعاله سبحانه وبحمده . اقرأ هذه المعاني، فإنك كلما ازداد علمك بالله تعالى ازداد حسن ظنك به، فإن القلب الذي امتلأت أرجاؤه بهيبة الله تعالى وسطع فيه نور الإيمان، وملئ بالتقوى والإحسان، وخالطته بشاشة الإيمان والعلم بما لله تعالى من الكمالات لا يمكن أن يسيء ظنه بالله تعالى، بل إنه لا يجدُ إلا إحسان الظن به سبحانه وتعالى

= **ثمار حسن الظن بالله تعالى**:

١-يثمر تعظيم الرب جل وعلا بتوحيده وعدم الشرك به:

قال تعالى:"مَا لَكُمْ لا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَاراً". أي:أيُّ شيءٍ يحملكم على أن لا تعظموه جل وعلا حق تعظيمه، أيُّ شيءٍ يحملكم على أن لا تقدروه حق قدره؟
قال تعالى:"وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ".

٢-يثمر طاعة الله وعدم عصيانه:

١/٢ قال تعالى:"وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ. وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ. وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ. فَإِنْ يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ وَإِنْ يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ" (فصلت:١٩-٢٤) أي ما كنتم تتحفظون لما كنتم تعصون الله، وتخالفون أمره، ما كان هؤلاء يتحفظون من أن يشهد عليهم سمعهم، ولا أبصارهم، ولا جلودهم، ما أحد في حال معصيته يستتر عن جلده، أين يفر؟! هل يخرج من جلده؟ إنه لا يتمكن من ذلك، ما هناك من يستتر من هذه الأمور، يتحفظ من هذه الأمور.

٢/٢ قال الله تعالى:"وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ". ن العبد إذا غفل عن حسن الظن بربه تورط في سيئات عظيمة، لأنه ظن أن الله تعالى غافلٌ عنه، أو أن الله يدخل العصاة الجنة، والله غفور رحيم.

٣/٢ قال سعيد بن جبير:(من الاغترار بالله المقام على الذنب ورجاء الغفران). صدق! إن من الاغترار بالله تعالى أن تقيم على الذنب وتصرعليه ثم تقول:سيغفر لي ربي. إن هذا من الاغترار به جل وعلا.

٤/٢ قيل لعلي بن بكار:(ما حسن الظن بالله؟ أن لا يجمعك والفجار دار واحدة).

٥/٢ قال تعالى:"يَا أَيُّهَا الإنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ"؟

٣-يثمر عدم التعاظم على الله بعدم قدرته على أخده وعقابه:

قال الله تعالى:"هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ".
أي :ظنوا أن هذه الحصون ستعصمهم من عقوبة الله تعالى، ستعصمهم من أخذه، وهل هذا حسن ظن بالله تعالى الذي لا تخفى عليه خافية، الذي هو على كل شيء قدير؟ الجواب :لا، إنَّه من أعظم إساءة لن بالله تعالى أن يظن العبد بربه هذا الظن السيئ.

٤-يثمر مكارم الأخلاق، وطيب الخصال.

١/٤ قال ابن عباس:(الجبن والبخل والحرص غرائز سوءٍ، جمعها كلها سوء الظن بالله تعالى).

٢/٤ قال الله تعالى في وصف عبادة الأبرار:"إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلا شُكُوراً"،

٣/٤ وقال تعالى:"وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى. إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى".

٤ /٤ وى البخاري ومسلم عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: [يقول الله تعالى: أنا عند ظن عبد بي، وأنا معه إذا ذكرني: إذا ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإذا ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه. وإذا تقرب إلي عبدي شبرًا تقربت إليه ذراعًا، وإذا تقرب ذراعًا تقربت إليه باعًا، وإذا أتاني يمشي أتيته هرولة].

٥/٤ قال عبد الله بن مسعود: (والذي لا إله غيره لا يعطى عبدٌ مؤمنٌ شيئًا خيرًا من حسن الظن بالله عز وجل، والذي لا إله غيره لا يحسن عبدٌ ظنه بالله عز وجل إلا أعطاه الله عز وجل ظنه، ذلك بأن الخير كله في يديه سبحانه وبحمده)

وهذا آخر ما يَسَّرَ اللهُ جمعه بفضله ورحمته،

ونستغفرُ اللهَ تعالى مِنْ كُلِّ ما زَلَّتْ به القَدَمُ ، أو طَغَى بِهِ القَلَمُ ، ونستغفرهُ مِنْ أقوالِنا التى لا تُوَافِقُها أعمالُنا ، ونستغفره مِنْ كُلِّ عِلْمٍ وعَمَلٍ قَصَدْنَا به وَجْهَهُ الكريمَ ثُمَّ خَالَطَهُ غَيْرُهُ ، ونستغفرهُ مِنْ كُلِّ وَعْدٍ وَعَدْنَا بِهِ مِنْ أَنْفُسِنَا ثُمَّ قَصَّرْنَا فى الوَفَاءِ بِهِ ، ونستغفرهُ مِنْ كُلِّ نِعْمَةٍ أنْعَمَ بِها عَلَيْنَا فاستَعْمَلْنَاها فى مَعْصِيَتِه ، ونستغفرهُ مِنْ كُلِّ تَصْرِيْحٍ وتَعْرِيْضٍ - بِنُقْصَانٍ نَاقِصٍ ، وتَقْصِيْرٍ مُقَصِّرٍ -كُنَّا مُتَّصِفِيْنَ بِهِ ، ونستغفرهُ مِنْ كُلِّ خَطْرَةٍ دِعِتْنا إلى تَصَنُّعٍ وتَكَلُّفٍ تَزَيَّنًا للناس بِهِ .

الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات وتدوم الطيبات وصَلَّى اللهُ وسَلَّمَ وبارَكَ على محمدٍ النبي ، وأزواجِهِ أمَّهاتِ المؤمنين ، وذريته وآل بيته الطيبين الطاهرين ، وأصحابه أجمعين ، والتابعين لهم بإحسانٍ إلى يومِ الدِّين